٩٥ – كآبة جمدة

وأخيراً سافر (الغالي) مع والده الى القاهرة وبقيت (أم زيّان) منفردة في حجرة الفرن، ومن الغريب أنّها عند وداعها لحفيدها لم تذرف دمعة، ولم يظهر على وجهها أيّ اضطراب، بل كانت تضاحكه وتلاعبه ببشاشة، وتروي له مختلف الاقاصيص، ولكنّها عندما عادت الى وكرها حبست نفسها فيه اسبوعاً كاملاً، خرجت بعد نهايته بوجه شاحب، يشبه وجه من دفن ثمّ خرج من القبر حيّاً .

ودار دولاب الحياة دوره المعتاد . فعادت (أم زيّان) الى سابق عملها أمام الفرن تعجن وتخبز، وفي كنّ الدّجاج تقدّم لرعيتها الطّعام، وفي حظيرة البهائم تحلب البقر وتصنع الجبن . ورجعت اليها بشاشتها، وظهرت على وجهها ابتساماتها، وأخذت تسير مهرولة في فناء الدار كسابق عهدها، تشتغل بنشاط واهتمام، الاّ أنّ قامتها انحنت قليلاً، وزادت في وجهها التجاعيد ... !

فاذا ما جنّ الليل، دخلت وكرها، وأمضت الساعات جالسة أمام الفرن، ينير وجهها بصيص نار خامدة، وهي تحدّث (الغالي) متخيّلة أنه معها، تروي له النوادر والقصص، وتسأله عمّا يفعل، وكم يكسب، وهل لبس الكسوة، ووضع الطّربوش المائل؟ ... وأخيراً تأتي بجلباب من جلابيبه، وتبسطه في حجرها، ثم تهزّه بحنان، وتبدأ تغني له أغاني المستقبل الزّاهر، ودموعها تنهمر من مآقيها .

محمود تيمور (دنيا جديدة)